بين العميان والمبصرين

بقلم

صلاح حسنى مخيمر

دفعنى إلى كتابة هذا المقال ما قرأته فى المجلد الرابع من مجلة علم النفس العدد ١ يونية سنة ٤٨ تحت عنوان (عالم العميان وعلم النفس) فقد حاول الكاتب فى مقاله أن يمحو ما ارتسم حول عالم العميان من ظلال الفزع وما تردد عنه من أكاذيب وشائعات مضللة فأرجع الأمر وأنزل اللائمة على الأدب السطحى ثم جاهد من بعد ذلك ليكشف لنا عن الحقيقة ولكنه وقف بنا عند علم سطحى لا يرضى العقل ولا يقنعه فرأيت لزاماً على أن أقول فى الأمر كلمة حق مستنداً فى ذلك إلى تجاربى الشخصية وإلى تجارب الكثيرين من زملائى العميان .

اختلف الناس فى أمر العميان فنسب البعض إليهم قدرات خارقة وأعمالا معجزة فمن تمييز للألوان بحاسة اللمس أو الشم إلى قيادة للعربات والمركبات إلى اشتغال بفن النحت إلى معرفة بالغيب وتنبؤ بالمستقبل إلى آخر هذه الأشياء التى لم يرددها العامة فحسب بل رددها الكثير من الخاصة فى كتبهم وأقوالهم . فنحن حين نقرأ ما كتبه ديدرو واپركرمبى ورجنلت لا نلبث أن نغرق فى الضحك من سخف حكاياتهم التى يتردد اليوم عامة العامة فى تقبلها وتصديقها .

أما البعض الآخر فلا يرى وراء العيون المطفأة والوجوه الجامدة غير ملكات صدئة واستعدادات معطلة فالعميان عندهم قطع من أثاث تعرقل التقدم الإنسانى وتضع فى سبيله الكثير من العقبات ولعل مرجع هذا الرأى عند هذا البعض يرتبط بالشعور ارتباطاً وثيقاً ذلك أن الواحد منهم لا يحكم على العميان بما هم عليه فى الواقع وانما بهذا الخوف الذى يتراءى للشعور واضحاً قوياً إذا ما ألمت به فكرة العمى ولعل منشأ هذا الخوف يرتد إلى هذه الصور التى تصدم المبصرين أمام المساجد والكنائس وفى الطرقات فهم لا يرون الأعمى فى هذه الصور إلا وقد اكتسى

بما ينفر النفس ويشيع فيها شعوراً بالخوف من هذا المصير . ذلك أنهم ينظرون إلى العمى من جانب واحد ، ينظرون فى كل ما فقد الكفيف فلا يتنبهون إلى ما يجد فيعوضه عما فقد أو قل يفكرون فى هذه الأنوار التى تذهب بذهاب البصر فتفلت منهم تلك التى تنبعث من سائر الحواس الأخرى . فهيكل الشخصية عندهم يقوم على محور هو البصر فإذا ما تداعى هذا المحور تداعت الشخصية فى اثره فهم لا يحسبون حساباً لما يمكن أن تقوم به الحواس الأخرى من إقامة للشخصية حول محورها .

وهكذا يختلف الناس فى أمر العميان فيتكلم البعض عنهم بلغة الإعجاز ويتكلم البعض الآخر بلغة العجز فلا يتكلمون أبداً بلغة الحق والإنصاف .

الكفيف فى المجال العقلى :

يقف الكفيف فى هذا المجال على قدم المساواة مع زميله المبصر فى مكنته أن يصل بملكاته فى طريق الثقافة العقلية إلى أقصى ما يستطيعه مبصر له نفس الملكات فكيف يكون ذلك وهو يفتقد حاسه البصر ؟ ... نحن إن حللنا إحساساً بصرياً لنتبين عناصره لوجدنا أن كل ما يشتمل عليه تقريباً يوجد فى الإحساس اللمسى . فالمبصر بإزاء مسطرة فوق منضدة يصدمه أول ما يصدمه لونها وهذا إحساس لا يبلغه الأكمه بحاسة اللمس أو بغيرها من الحواس الأخرى بل وليس من سبيل إلى نقله إليه أو تقريبه من ذهنه على أى نحو من الأنحاء . أما فيما عدا ذلك من عناصر الطول والعرض والارتفاع والصلابة ونعومة الملمس والحيز الذى تشغله ... الخ فكلها أمور يستطيع أن يبلغها الأكمه بحاسة لمسه ذلك أنها ترجع إلى تصورات تتعلق بالمكان والامتداد والصلابة وهى جميعاً يخبر عنها اللمس بأصدق مما يستطيعه البصر ومن هنا نستطيع أن نصوغ الأمر كما يلى :

الإبصار = لمس عن بعد + إحساس باللون .

اللمس = إبصار عن قرب — إحساس باللون + احساس بالخشونة .

ومعنى هذا أن المبصر من الناحيه العقلية لا يفضل الأكمه إلا من حيث تصور اللون ومن حيث تصور آخر يتعلق به هو تصور الضوء وهما تصوران يتعلقان بظاهر الأشياء ولا يدخلان على أى وجه من الوجوه فى صرح الأفكار الأساسية للعقل الإنسانى وخلاصة هذا التحليل أن اللمس يستطيع من الناحية العقلية أن

يقوم مقام البصر فإذا أردنا أن نعاين الأمر فى الواقع لوجدنا الأمثلة كثيرة . فهذه هيلن كللر فتاة أمريكية نزل بها داء وهى لم تبلغ بعد الثانية من عمرها فأفقدها البصر والسمع وبالتالى أفقدها القدرة على الكلام ولكنها استطاعت على الرغم من هذه الظلمات التى تحتضنها وهذا السكون الذى يضمها أن تكون شخصية ممتازة إلى حد بعيد تجيد لغات عدة وتتابع الدراسة الجامعية وتجتاز الامتحانات بتفوق ملحوظ . بل ها هى لورا بردجمان فتاة لم تحرم فحسب حاستى السمع والبصر بل حرمت أيضاً حاستى الشم والذوق ومع ذلك استطاعت أن تصل إلى ثقافة عقلية لا بأس بها . وحسب القارىء هذين المثالين ليتبين أن حاسة اللمس تكفى وحدها كيما تصل بصاحبها إلى قمم الثقافة الإنسانية . وإن كان هذا هو حال اللمس فما بالك بالأكمه الذى يجمع إلى هذه الحاسة حاسة السمع فيقف بذلك وراء نافذتين عريضتين تمدانه بفيض من الأفكار ، الأولى تمده بفيض مكتوب أما الثانية فبفيض مسموع ونحن لو نظرنا بعد ذلك إلى البصر واللمس نظرة مقارنة لوجدنا أن الإنسان يتميز عن الحيوان لا بالقدرة على الإبصار بل بهذه القدرة التى تستقر على نحو متميز فى يديه والتى نسميها بحاسة اللمس وفى هذا ما يكشف عن قيمة الإنسان من حيث هو إنسان يفضل فى كثير من الأنحاء سائر الحيوان . ونحن لو نظرنا من ناحية أخرى إلى البصر والسمع نظرة مقارنة لوجدنا منتانى (Montaigne) يفضل فقد البصر على فقد السمع ولوجدنا أرسطو يقرر أن حاسة البصر وإن كانت ألزم الحواس من حيث الحياة الحيوانية فإن حاسة السمع هى ألزمها من حيث الحياة العقلية ومن هذا كله نخلص إلى تفوق السمع واللمس على البصر فى المجال العقلى وبالتالى يتضح لنا أن العمى لا يقف عائقاً فى سبيل التقدم العقلى إذا كان كثير من العميان قد استطاع فى الماضى أن يصل إلى مكانة عقلية ملحوظة كما نتبين ذلك من مؤلفات المعرى وفرانسوا وملتن وغيرهم فما بالك بالعميان اليوم وقد أعدت لاستقبالهم معاهد كثيرة يتلقون فيها الثقافة العقلية على أسس من التربية متينة ووفقاً لمناهج تتفق مع حالهم فى استطاعة الكفيف اليوم أن يشق طريقه فى شتى نواحى المعرفة الإنسانية اللهم إلا هذه الفروع التى تعتمد على البصر اعتماداً تاماً كما هو الشأن فى الطب والتاريخ الطبيعى ، أما الفلسفة واللاهوت وأما الأدب والتاريخ والرياضيات والقانون ... الخ فكلها ميادين يجول فيها الأعمى على نحو لا يختلف فى شىء عما عليه المبصر بل قد يفضل ما عليه المبصر وذلك لأن فعل

الإبصار عامل من عوامل (التشتيت) الذهنى كما يكشف عن ذلك مؤلف كتاب Human Machine ومن هنا يستطيع فكر الكفيف أن يزاول عمله فى عزلة عن كل عرض خارجى . وبعد فهل يجرؤ أحد بعد هذا البيان الذى أتينا عليه أن يربط بين العمى وبين ما يوجد عند بعض العميان من ضعف عقلى ؟ ... كلا فإن الضعف العقلى الذى يوجد عند بعض العميان حيناً لا يختلف فى شىء عن زميله الذى يوجد عند المبصرين أحياناً فكلاهما يرجع إلى علل مرضية يبرأ منها العمى بقدر ما يبرأ البصر ... ولكن نحن وإن انتهينا إلى قدرة الكفيف على متابعة الثقافة العقلية فليس معنى هذا أن الأمر يتم فى سهولة ويسر ذلك أن وسائل تثقيف العميان قد مرت بتطور تاريخى عانت فيه الكثير من الإصلاح والتهذيب فلنتبع هذا المنحنى التاريخى لنتبين ما كان عليه قبل فالنتين هيوى وما آل إليه بعد لوى برايل .

يحدثنا ديدرو عن سوندورسو وهو كفيف لجأ فى كتابته وقراءته إلى حفر الحروف الهجائية فى قطع من الخشب حينا وسبكها من المعدن حيناً آخر وضغطها على قطعة من الورق المقوى حيناً ثالثاً وقد أوحت هذه الطريقة لفالنتين من بعد أن يستعير ألف باء المبصرين ليستخدمها العميان على نحو بارز فى قراءاتهم وكتاباتهم وقد نجحت هذه الطريقة بعض النجاح فقرأ العميان السطور والفقرات ولكنها قراءة بطيئة مجهدة تستلزم الكثير من الانتباه والمران وتستلزم فوق ذلك إجهاد الإصبع وإدمائه . ذلك أن الكلمات إما أن تكون صغيرة المقياس وإما أن تكون كبيرة المقياس فإذا كان الأمر الأول صعب على أصبع الكفيف أن يميز الحروف المتداخلة وان كان الأمر الثانى تعذر على أصبع الكفيف أن يشمل الحروف كلها ومن هنا فإن الكتابة على هذا النحو ، صغرت كلماتها أم كبرت ، وسيلة لا تخلو من كثير من العقم الأمر الذى دفع الكثيرين إلى محاولة تبسيط الحروف كيما تكون سهلة الكتابة والقراءة . وقد كثرت المحاولات وتعددت ولكن واحدة منها لم تصب شيئاً من النجاح ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى محاولة فرض وسائل العين على أصبع الكفيف مع ما بين الاثنين من اختلاف عظيم . فالعين تتبع الخط فى سهولة ويسر ومن ثم فالكلمات ذات الخطوط هى الوسيلة التى تناسبها أما الإصبع فيتميز بخصائص فسيولوجية معينة تجعله يحس النقطة على نحو أوضح وأكثر تميزاً ومن ثم فالكلمات ذات النقاط هى الوسيلة التى تناسبه ولكن هل معنى هذا أن نستعير من المبصرين

ألف بائهم فنستخدمها فى صورة نقاط كما فعل كلين ؟ كلا فهذا عود بنا إلى عين الصعوبات التى تعترض طريقة ڤالنتين . لا بد إذن من صياغة جديدة للحروف تقوم فى نقاط وتناسب فى الوقت نفسه حدود اللمس الأصبعى وهذا هو ما وفق إليه بريل حين اقتصر على ست نقاط اثنتان أفقيتان وثلاث رأسية أو قل بلغة العسكريين على هيئة قطار زوجى وهذه النقاط يرتبها بريل ترتيباً خاصاً فيحصل على حروف الهجاء العشرة الأولى ثم يضيف نقطة إلى كل شكل من الأشكال فيحصل على حروف الهجاء العشرة الثانية وهكذا يسير وفقاً لمبدأ عقلى فيستخلص سائر حروف الهجاء وشتى علامات التنقيط ومختلف رموز الرياضة وقد منحت هذه الطريقة للعميان سهولة فى القراءة والكتابة تتراوح بين خمسة إلى عشرة أضعاف ما تمنحه الطرائق الأخرى ولكن هذه السهولة لم تكن بغير مقابل ذلك أنها قطعت هذا الاتصال الذى كان قائماً على يد ڤالنتين بين العميان والمبصرين وقد أدرك بريل أهمية هذا الأمر وأشار إليه وهو إن لم يوفق إلى حله فقد جاء الحل على يد صديقه فوكولد وتلميذه بالى بما قدماه للعميان من أجهزة تعينهم على هذا الأمر ولكن تقدم العلم لم يقف عند حد هذه الوسائل بل تناولها بالتحسين والتهذيب حتى جعل فى مكنة الأعمى أن يخط الكلمات عل هيئة نقاط بارزة أو على نحو بارز أملس أو فى صورة خطوط ملونة . ولكن مهما يكن من أمر هذه الوسائل الجديدة فهى لا تعدو حدود الارتقاء بطريقة بريل فإذا نحن نظرنا بعد ذلك فيما ناله الكفيف على يدى بريل وجدناه يكتب بمعدل يتراوح بين ١٠ و ١٥ كلمة فى الدقيقة ويقرأ بمعدل يتراوح بين ١٠٠ و ١٢٠ كلمة فى الدقيقة . أما المبصر فيكتب من ٢٠ إلى ٢٥ كلمة فى الدقيقة ويقرأ ما يزيد على ٥٠٠ كلمة فى الدقيقة . ومعنى هذا أن الهوة واسعة إلى حد ما بين المبصر والكفيف وهذا الفارق قد يكون له أثره السيء فى نفسية من ينزل به العمى فى سن متأخرة لما ألفه فى مملكته الأولى من سرعة فى الكتابة والقراءة . أما الأكمه وأما من ينزل به العمى فى سن مبكرة فهو لم يألف سرعة وسائل المبصرين فى الكتابة والقراءة ومن ثم فهو راض عن طريقة بريل وبالغ بها ما ينشده من تثقيف عقلى . ويجد القارئ مصداق هذا الرأى فى حالتين من حالات الواقع الحالى : أما الحالة الأولى فهى حالة كاتب هذه السطور نزل به العمى فى الحادية والعشرين من عمره فالتحق بكلية الآداب ليتابع الدرس وحاول مرات كثيرة أن يأخذ نفسه بطريقة بريل ولكن المحاولة ذهبت فى إثر

المحاولة لتنتهى جميعاً إلى الفشل . أما الحالة الثانية فهى حالة زميل كفيف بكلية الآداب نزل به العمى فى سن مبكرة فتدرب منذ الصغر على طريقة بريل فألفها وأتقنها وانه ليتابع بها اليوم محاضراته الجامعية على نحو قد لا يستطيعه بعض زملائه المبصرين . وقد يطمع القارىء فى تتبع الحياة الثقافية للكفيف خطوة فخطوة من طفولته إلى كهولته فإليه نسوق حياة ڤللى (Villey) الذى استطاع على الرغم من فقده البصر أن يصل إلى أعلى المراتب العلمية .

فقد ڤللى البصر فى منتصف الخامسة ولكنه على الرغم من هذه الأعوام المضيئة لم يجد فى نفسه أية ذكرى واضحة لأى إحساس بصرى . نعم لقد وجد فى نفسه أفكاراً عن الألوان ولكنه كان وما زال يجهل ما إذا كانت هذه الأفكار تطابق الواقع أو لا تطابقه ومعنى هذا أنه قد بدأ حياته من نقطة لا تختلف كثيراً عن تلك التى يبدأ الأكمه منها حياته فقد بدأ دروسه الأولى بالإنصات إلى إخوته وهم يستذكرون بصوت مرتفع . فلما بلغ الثامنة بدأ يتدرب على طريقة بريل فاستطاع أن يعتمد على نفسه حين يقرأ وحين يكتب ثم اتصل بعد ذلك بالمؤسسة الأهلية لصغار العميان بباريس فبصرته بشتى الوسائل التربوية التى تعينه على دراسته وأعدته بذلك لتلقى الدرس فى المدارس الفرنسية جنباً إلى جنب مع المبصرين وقد لقى الصبى فى هذه المرحلة الجديدة صعوبات شتى فعلى الرغم من استخدامه لطريقة بريل فى كتابة الملاحظات المدرسية وإعداد الواجبات اليومية وعلى الرغم أيضاً من استعانته بمكتبة بريل فقد بقيت أمامه الكتب باللاتينية واليونانية الأمر الذى ألجأه إلى الأصدقاء والرفقاء يملونها عليه ليكتبها بطريقة بريل وقد كان العمل صعباً فى بدايته ولكنه أخذ يسهل شيئاً فشيئاً مع الوقت وزاد فى هذه السهولة تعلمه لطريقة الاختزال ولكن بقيت من ناحية أخرى هذه الواجبات اليومية التى أعد مسوداتها على طريقة بريل فقد كان عليه أن يقدمها بألف باء المبصرين ليقرأها المدرس الأمر الذى ألجأه إلى الآلة الكاتبة الخاصة بالعميان فلم يجد صعوبة فى تعلم مواضع المفاتيح وإنما وجد الصعوبة فى عدم القدرة على مراجعة ما كتب ومن هنا كان عليه أن يستعين بسكرتير خاص ومهما يكن أمر هذه المرحلة فقد خرج منها الصبى بمجموعة من المذكرات البارزة صنفها وفقاً لطريقة منهجية وعملية كيما يسهل عليه من بعد الرجوع إليها والإفادة منها ولكن الفتى يلتحق بعد ذلك بمدرسة النورمال العليا فيواجه صعوبة جديدة تنشأ من ضرورة البحث العلمى والرجوع إلى المراجع المختلفة وحسبنا فى هذا

المقال أن نتناول أول موضوع من موضوعات دراساته ونعنى به دراسته « لمنتانى » فقد كان الرأى مختلفاً فيه أهو أبيقورى، أم رواقى شاك أم يقينى، ملحد أم دينى ؟ ذلك أن مقالات منتانى تشتمل على كثير من الأحكام المتناقضة فاختلف الناس فى الحكم عليها وقرأوا فيها مذاهب شتى وقد كان على ڤيللى أن يفسر هذا التناقض والتعارض فيرجع الأمر إلى التطور الفكرى الذى عاناه منتانى وهذا يقتضى عكوفاً منه على دراسة المقالات دراسة وافية فيحدد لكل مقالة تاريخها ويحاول أن يرجع كل فكرة إلى المصدر الذى أخذت عنه أو الفيلسوف الذى استوحيت منه .

ا — بدأ بنقل المقالات إلى طريقة بريل وهو فى هذا العمل قد استعان بمبصر يملى عليه ما يكتب .

ب — صنف المقالات التى كتبها إلى مجموعات ثلاث الأفكار فى ناحية والأسلوب فى ناحية ثانية والأمثلة فى ناحية ثالثة وهو فى هذا العمل لم يستعن بأحد .

جـ — رجع إلى الكتب التى رجع إليها منتانى أو التى يحتمل أن يكون قد رجع إليها ولما كانت هذه الكتب كثيرة وفى لغات متعددة فقد كان عليه أن يستعين بمبصر ليقرأ له .

د — عكف على المقالات المنقولة فأرجع كل شىء إلى مصدره وأثبت ذلك فى أوراقه الخاصة وهو فى هذا العمل لم يستعن بأحد .

هـ — بقى عليه أن يستخلص مما وصل إليه شتى النتائج الممكنة وهذا عمل لم يستعن فيه بأحد فإذا ما فرغ منه كان عليه أن يقوم بإعداد الصورة النهائية لما وصل إليه فإذا تم ذلك بدأت مهمة التسجيل وهى مهمة لاتحتاج كسابقتها إلى الاستعانة بأحد فى استطاعته أن يستخدم طريقة بريل إذا ما كان الأمر صعباً ويتطلب التسويد ؛ أما إن كان سهلا ولايحتاج إلى تهذيب لاحق فى استطاعته أن يستخدم الآلة الكاتبة .

و — وأخيراً كان عليه أن يراجع ما كتب ليصحح أو يضيف حيث يقتضى الأمر ذلك وهو فى هذا العمل يفتقر إلى مبصر يقرأ له .

وهكذا نجد أن ڤيللى قد انفرد بنصيب كبير من العمل ولكن ليس معنى هذا أن فى استطاعة كل كفيف أن يقوم بالبحث العلمى إذ لابد من ميل قوى يدفع إلى العلم ولابد من مواكبة هذا الميل بصبر ومثابرة وقد تبين كاتب هذه السطور خلال دراسته الجامعية أن الكفيف وإن استعان بمبصر يقرأ له فهو مع ذلك يجد

الكثير من الصعوبات التى تتطلب منه العزم والصبر والمثابرة .

فهو أولا : لا يجد فى عينى القارىء هذه المرونة التى يجدها المبصر فى عينيه حين تتحرك على نحو مباشر بإرادته ومن ثم فهو لا يستطيع فى لحظة أن يحكم كما يفعل المبصر بنظرة فاحصة ما إذا كانت هذه الفقرة أو تلك تفيد البحث أو لا تفيده .

وهو ثانياً : ينفعل بنفسية القارىء التى لا تجد فى عملها الرتيب فائدة مباشرة فلا يلبث أن يسرع إلى القارىء ثم إلى المستمع الملل والتعب .

وهو ثالثاً وأخيراً : يجد فى القارىء نوعاً من القيد يربطه بوقت معين ومحدد للدرس فيسمع له أحياناً ولكن فى غير تهيؤ نفسى للدرس ، ويتهيأ للدرس أحياناً ولكن فى غير موعد الدرس .

والآن إذا نحن وقفنا لنستعرض الطريق الطويل التى يقطعها الأعمى فى تثقيفه العقلى لوجدنا السهولة واليسر فى بداية هذا الطريق فدائرة العلم ضيقة والكتب البارزة تعمل جنباً إلى جنب مع الأشرطة المسجلة فتغذى لمس الكفيف وسمعه غذاء دسماً وفيراً ولكن بتقدم الطريق بالكفيف فتتسع دائرة العلم شيئاً فشيئاً فلا يجد فى كتبه وأشرطته غناء ومن ثم لا يجد بداً من الاعتماد على مبصر يقرأ له وسواء أكان الاعتماد كلياً أم جزئياً يستعين بطريقة بريل فالصعوبات الثلاث التى أتينا عليها قائمة فى طريقه تستلزم منه الميل والصبر والمثابرة ولا بأس على الكفيف من ذلك فتلك هى سنة الطبيعة شوك بسبق الورد ووخز يسبق الشهد . حقاً إن الشوك ليكثر وإن الوخز ليعظم عند الكفيف ولكن بقدر ما يكون الاداء متعباً والطريق مجهداً يكون النجاح ملذاً والظفر مبهجاً .

الكفيف فى المجال الفيزيائى :

يقف الكفيف فى هذا المجال موقفاً متأخراً عن موقف زميله المبصر ولكنه إن أخذ نفسه بالدربة على الحياة بأحيائها وأشيائها فإنه لا يلبث أن يجعل اعتماده على غيره اعتماداً غير كلى . حقاً نحن نجد الكثير من الحيوانات التى تفقد البصر تتابع حياتها على نحو عادى فالكلب مثلا يؤدى بغير البصر كل ما يؤديه بالبصر وكذلك الحال فى الحصان والخفاش ولكن الأمر يختلف فى الإنسان عنه فى الحيوان لما تصطبغ به حياة الأول من تعقد وغنى وتشعب وثراء .

يبدو أن الطبيعة تعمل جاهدة لتعوض الإنسان عما فقده من حاسة البصر وهذا هو ما نسميه بتعويض الحواس وإنابتها وهو يقوم فى محاولة الحواس الأخرى سد الفراغ الناشىء من فقد البصر . فلنتساءل الآن عن طبيعة هذا التعويض وعن النحو الذى يتم عليه . نحن لو استمعنا إلى حديث التجريب المعملى لوجدنا شتيرن وجلتز وجرشباخ وكنز ينتهون بالاعتماد على الاستزيومتر والألفاكتومتر وعلى تجارب سمعية إلى أن الإحساس عند العميان أقل منه عند المبصرين بل يغالى بعضهم فيذهب إلى أن فقد حاسة البصر يستتبع من سائر الحواس الأخرى نوعاً من المشاركة فتميل هى أيضاً إلى الضعف والانطفاء .

والحق أن هذه التجارب تنطوى على خطأ جسيم ذلك أن القائمين بها لم يفطنوا إلى التفرقة بين هذا العمى الذى يرتبط بضعف البنية ونقص الغدد أو يتصل بعلل المخ والنخاع الشوكى والجهاز العصبى وبين نوع آخر من العمى يرجع فحسب إلى إصابة العينين فى حادثة من الحوادث أو ما شابه ذلك . فلو أنهم فطنوا إلى هذه التفرقة لبدأوا بفحص العميان كيما تقتصر تجاربهم على العميان من حيث هم عميان لا يجمعون إلى العمى كثيراً من العلل المرضية الأخرى وهكذا فإن هؤلاء العلماء قد أخطأوا طريق البحث فلم يقيسوا القدرات الحسية للأعمى من حيث هو أعمى خالص بل كثيراً ما قاسوها له من حيث هو أعمى مختل الغدد مصاب النخاع إلى آخره . فلنترك إذن هذا الحديث المعملى لننظر فيما يردده العامة وبعض الخاصة عن تعويض الحواس وإنابتها . من البديهى بادىء ذى بدء أن فقد البصر لا يكفى فحسب لتقوم فى إثره عملية التعويض والإنابة وإلا كانت هذه العملية ضرباً من الظاهرات المستسرة الغامضة أو ملكة من الملكات التى تهبط من السماء فإن الواقع الملموس يؤكد لنا أن التعويض لا يكون إلا نتيجة مران طويل ودربة شاقة ومعنى هذا أن الأكمه الذى يترك بمعزل عن الحياة يتبلد ذهنه ويصدأ حسه . أما إن دفع إلى الحياة دفعاً أو اختلف إليها اختلافاً فإنه يجد فى ذلك من مران الحواس ودربة الذهن ما يعوضه عن فقد بصره . نعم إن الأكمه الذى ينزل إلى الحياة يكسب ظاهرة الإنابة ولكن الكسب يكون شيئاً فشيئاً شأنه فى ذلك شأن رجل أوروبى ينزل أرض الصين لأول مرة فلا يرى فى البدء غير وجوه صفراء كالحة لا يكاد يميز بينها ثم يأخذ مع الوقت فى تبين الفروق وتدق القدرة وتدق حتى تصل به فى نهاية الأمر إلى التمييز الواضح بين الوجوه المختلفة وخلاصة هذا كله أن ظاهرة

التعويض ترتد إلى الدربة والمران فهى ليست وقفاً على الكفيف بل فى استطاعة المبصر أن يبلغها وما عليه إلا أن يحيا حياة مصطنعة فيغمض عينيه ويتحسس طريقه ويتلمس الكلمات البارزة فإن فعل فهو لا شك بالغ تقوية سمعه أو لمسه أو شمه أو هؤلاء جميعاً ولكن ما الذى يكره المبصر على كل هذا أو على بعضه ؟ ... لا شىء فإن فى معطيات بصره كل ما يكفيه بل ويشغله حتى عن التنبه إلى معطيات حواسه الأخرى ذلك أن النفس الإنسانية تستخدم شتى أدوات الحس كيما تهيىء لصاحبها فرصة العمل فإن وجد البصر فيها وإن تغيب البصر أو غيره فعلى الحواس الأخرى أن تسد الفراغ وحسبنا دليلا على ذلك هذه العبارة التى جاءت على لسان هلن كللر : « يبدو لى أحياناً أن كل أليافى هى عيون تحدق فى هذه الموكب المتزاحم من حركات بحر الحياة الخضم الذى يغمرنى . »

والآن فلننظر فى مظهر من مظاهر التعويض الحسى اعتاد الناس أن يطلقوا عليه لفظة الحاسة السادسة أو حاسة الموانع أو الإحساس عن بعد فقد شاع الاعتقاد بأن هذه الحاسة أو الملكة ينفرد بها العميان لتهديهم سواء السبيل مجنبة إياهم ما قد يكون فى طريقهم من موانع وعقبات ولقد وجد الاعتقاد ما يؤيده فى حياة الكثيرين من العميان الذين يشقون طريقهم بثبات فى الطرقات الغاصه بالمارة والمركبات ونحن لا ننكر عل العميان هذه المقدرة ولكن الذى ننكره هو زعم الزاعمين بأنها حاسة مستقلة وينفرد بها العميان ذلك أن كنز قد أجرى التجربة على مبصرين معصوبى العينين فاستطاعوا أن ينبئوا عن المانع قبل بلوغه معتمدين فى ذلك على ما يجدونه فى أنفسهم من انطباعات تنشأ عن وجود المانع وفى هذا ما يبطل القول بأنها مقدرة ينفرد بها العميان . فالأمر هنا لا يختلف عن سابقه : ظاهرة توجد عند الأعمى وعند المبصر على السواء أو على نحو أدق يمكن أن توجد عند هذا وعند ذاك ولكن ينتبه لها الأول لحاجته إليها وتفلت من انتباهه الثانى ما بقى غنياً عنها .

فلنبحث الآن فى هذه الانطباعات التى تعين الكفيف أو المبصر المعصوب على التنبؤ بالمانع لنتبين ما إذا كانت ترجع كما يزعم البعض إلى حاسة سادسة أم ترجع إلى الحواس الأخرى المعروفة . تحدثنا التجارب عن هذا الانطباعات حديثاً يختلف من تجربة إلى تجربة فالانطباعات تختلف تبعاً لاختلاف الظروف الخارجية المحيطة بالشخص من حرارة أو برودة أو من اعتدال للريح أو شدتها ثم هى تتلون ألواناً متباينة تبعاً لظروف الشخص الداخلية من تعب وإجهاد وقلق

وتشتت ذهني ... الخ . ولكن مهما يكن أمر هذه الاختلافات ضعفاً أو قوة، فهي قائمة على أي حال تنبيء دائماً عن وجود المانع . حقاً إن بعض هذه الانطباعات يرجع إلى الإحساس بتباين الضغط أو الحرارة ففي وسع كل من الكفيف والمبصر أن ينبيء بالاعتماد على تباين ضغط الهواء أنه قد انتهى من طريقه الذي يسلكه إلى مفترق طرق كما أنه في استطاعة كل منهما أن ينبيء بالاعتماد على الإحساس الحراري عن موضع مصباح كهربائي مضيء . ولكن إذا لم يكن ثمت إحساس بالضغط أو الحرارة فبأي شيء نفسر الانطباعات ؟ هل نردها إلى احساسات لمسية ؟ كلا فقد أثبتت التجارب أن حاسة اللمس عاجزة عن التنبؤ حتى بمانع يبعد عنها مليمتراً واحداً فلا تعمل حاسة اللمس إلا عند الاتصال المباشر بالأشياء فلننظر إذن في حاستي السمع والشم لنرى ما إذا كانت الانطباعات ترد إليهما أو ترد إلى شيء آخر .

تجيب التجارب بأن الأعمى والمبصر المعصوب لا يستطيعان متابعة التنبؤ بالموانع عند ما تسد آذانهما وأنوفهما سداً محكماً وكذلك يعجز الكفيف الأصم عن متابعة التنبؤ بالمانع إذا ما سد أنفه سداً محكماً وفي هذا ما يكشف لنا في وضوح عن حقيقة هذه الحاسة المزعومة فهي لم تعد تستقل بانطباعات خاصة بها لإنها ليست غير انطباعات سمعية أو شمية أو ضغطية أو حرارية أو « مزاج من هذا كله أو من بعضه . ومن هنا أيضاً يصدق على المبصر ما سبق أن قلناه من قبل : ظاهرة في وسعه أن يبلغها ولكنه في غير حاجة إليها فلا يقبل عليها إلا أن ترغمه قسوة الحياه على ذلك . وكذلك الحال فيما يسمونه بالذاكرة العضلية عند الكفيف فهذه الذاكرة لا تعدو ترابط عديد من الحركات والأفعال بحكم العادة ترابطاً من شأنه أن تتلاحق الحركات والأفعال على شكل آلي عند البدء بأولاها فيستطيع الكفيف أن يشق طريقه في ثبات وفي غير توقف إلى نادي العميان أو إلى منزل صديق من الأصدقاء وليس في الأمر شيء من الغرابة فإن كانت ديدان يركس [1] قد استطاعت بعد عدة محاولات أن تتعلم الطريق الصحيح في المتاهة فلا أقل من أن ننسب إلى العميان ما تفعله الديدان فإذا ما انتهينا من هذا الحديث النظري واتجهنا إلى الواقع نعاين فيه ما قلناه تقدمت إليكم بحالة كاتب هذه السطور فهو منذ نزل به العمى قد تنقل في مساكن عدة وفي كل مسكن ينتقل إليه يقضي

(١) راجع كتاب مبادىء علم النفس العام للدكتور يوسف مراد . صفحة ١٩١ — ١٩٢

الأسبوعين الأولين فى صدمات مستمرة بالأبواب وقطع الأثاث بل وبعض الجدران ولكن الصدمات لا تذهب عبثاً فلا ينصرم هذان الأسبوعان حتى يجد نفسه قادراً على التنقل السريع بين حجرات مسكنه . ومثل آخر لعله أوضح من سابقه فى الكشف عن الذاكرة العضلية عند الكفيف وهو أيضاً يتعلق بكاتب هذه السطور فهو فى الأسابيع اللاحقة بفقد بصره لم يكن قادراً عند تناول طعامه على توجيه ملعقته توجيهاً مسدداً إلى فمه وانقضى الأسبوع تلو الأسبوع بين المحاولة والخطأ فما انصرم الشهر الأول حتى وجد نفسه يأكل على نحو لا يختلف فى شىء عما كان عليه فى حياته المضيئة . فإذا رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء لنعاين التعويض الحسى وما له من أثر فى تجنب الموانع تقدمت إليكم بحالة زميل كفيف قد ألف منذ الصغر الخروج إلى الطرقات والتنقل بمفرده فى العربات العامة مستعيناً بما يستعين به الزائر المبصر الغريب عن القاهرة بالسؤال عن هذا الشارع أو ذاك وعن هذه المحطة أو تلك وهو لا يجد فى الانتقال مشقة أو جهداً حتى إنه ينتقل إلى أصدقائه المبصرين أكثر مما ينتقلون إليه . ولا أحسب القارىء فى حاجة إلى المزيد عن هذه الزميلة الكفيفة التى أطنبت بعض الصحف فى الأيام الأخيرة فى بيان قدرتها العجيبة على استخدام الآلة الكاتبة الخاصة بالمبصرين والعزف على البيان بل لعل أطرف من هذه الحالات كلها حالة هذا الرجل القروى الكفيف الذى يقطن قرية من قرى المنيا ولا حرفة له إلا أن يبحر بركاب زورقه من قريته ذاهباً بهم إلى عاصمة الإقليم أو عائداً بهم إلى القرية مستعيناً فى ذلك بما يحسه من اتجاه الشمس والريح وما يبلغ سمعه من أصوات . ولكن هذه الحالات كلها حالات من الواقع المصرى تتضاءل إذا ما قورنت بحالة العميان فى كثير من البلدان المتمدينة ذلك أنهم لا يتركون الأعمى يصارع الحياة بمفرده فيصرعها أو تصرعه فتلزمه الدار . بل إنهم يعدون المعاهد المختلفة للعميان فهناك معاهد الكفيفات تتدرب فيها الفتاة الكفيفة على شتى المطالب المنزلية من طهى وحياكة وغسل للملابس وترتيب للأثاث واستخدام للآلات الموسيقية ومزاولة لألعاب الورق البارز . وهناك معاهد أخرى تستقبل الأطفال العميان فتلقنهم إلى جانب العلم شتى التمرينات السويدية ومختلف الألعاب الرياضية مع تحويرها على النحو الذى يتفق مع حالتهم ومن هنا لا يحق للقارىء أن يعجب إن هو سمع عن مباراة بين العميان فى كرة القدم أو التنس أو الكريكيت بل ليس له أن يعجب أيضاً إن سمع عن بعضهم يعمل بنجارة الأبانوس أو عن آخر يشتغل

بالكهرباء والميكانيكا أو عن ثالث يصلح الآلات الموسيقية فكل أولئك أمور يستطيع أن يبلغها الأعمى إن هو وجد التدريب الموجه والمران الممنهج . نعم قد يعترض البعض بحق قائلا إن الكفيف وإن دفع أنفه فى مجال الصناعات الفيزيائية فهنالك مع ذلك عامل البطء يحول بينه وبين الإنتاج على نحو من السرعة يكفل له العيش ولكن هل نسى هذا البعض أن الكفيف لا يدفع أنفه مختاراً بل مكرهاً بما هو عليه من فقر مادى أو عقلى يحولان بينه وبين العلم النظرى إنه لمكره ومع ذلك فشىء من الكسب وإن قل خير من بطالة لا تكسبه شيئاً .

الكفيف فى المجال الفنى :

يقف الكفيف فى هذا المجال موقفاً وسطاً فهو يتأخر شيئاً عن موقفه فى المجال العقلى ويتقدم شيئاً عن موقفه فى المجال الفيزيائى ولعل هذا يرجع إلى أن الفن يتجه إلى الحاستين الراقيتين من حواس الإنسان ونعنى بهما البصر والسمع ففى وسع الكفيف بما له من حاسة سمع أن ينزل ميدان الموسيقى وحقل الشعر يستمتع حيناً ويبدع حيناً آخر . بل وفى وسعه أيضاً بما له من حاسة اللمس وملكة الخيال أن ينعم بفنى النحت والمعمار أما الرسم فهو وان لم يجد ثمت سبيل إليه فحسبه ما يجد فى فن التحسس واللمس وقد يتردد القارىء فى تقبل هذا القول فينكر على الكفيف قدرته على الإبداع الموسيقى زاعماً كما زعم البعض من قبله أن الابداع يتطلب فى المبدع الخالق نوعاً من التكامل الحسى العاطفى العقلى ولكن هذا الزعم يبطله الواقع بما يقدمه من مبدعين موسيقين فرنسيين مكفوفيين وسوف يبطله أكثر فأكثر بما سيقدمه من مبدعين مكفوفين من مختلف الأجناس ذلك أن الكفيف فى كثير من البلدان لم يلق بعد ما هو أهل له من العناية الفنية التى تكشف عما قد يكون له من فطرة موسيقية . فالكفيف لا يختلف فى شىء عن زميله المبصر فى المجال الموسيقى وقد أثبتت التجارب ألا عبرة فى تعلم الكفيف للموسيقى بالسن التى يفقد فيها بصره بل بالسن التى يبدأ فيها تعلمه . فإن نحن تخيرنا من العميان كل من أمدته الطبيعة بفطرة موسيقية فهيأنا له فى سن مبكرة سبيل الدراسة الموسيقية فهو لا شك بالغ فيها وبها كل ما يستطيعه الموسيقى المبصر بل ليس ببعيد أن يتفوق عليه . فإن عزلته عن الاستمتاع بالجمال البصرى قد تدفعه إلى الموسيقى فى شبه نهم روحى فيأتى بغرائب الإبداع الفنى . وقد ينكر القارىء على الكفيف قدرته على الإبداع

الأدبى عامة والشعرى خاصة فحسبه أن يذكر عميد الأدب العربى إن كان عربياً ، فإن لم يكن فحسبه تلك العبارة التى جاءت على لسان شكسبير « ليس للموسيقى والشعر غير إله واحد . » فإن كنا قد انتهينا إلى قدرة الكفيف على الإبداع الموسيقى فليس من بد أن ننتهى مع عميد الشعر العربى إلى قدرته على الإبداع الشعرى ولكن القارىء وإن سلم بهذين الأمرين فقد لا يجد من السهل عليه أن يسلم بقدرة الكفيف على تذوق فنى النحت والمعمار وهو فى هذا على شىء من الحق ذلك لأن الكفيف لا بد له فى تذوق فن النحت من حاسة لمس مدربة تقرأ شتى الأوضاع الجسمية والانفعالات الوجهية والأمر يزداد صعوبة فى فن المعمار إذ لا بد من خيال قوى يؤلف فى سهولة بين مختلف الامتثالات المكانية التى تصله من حديث المبصرين أو وصف الصحف وقد وجد كاتب هذه السطور أن الكفيف الذى ينزل به العمى فى سن غير مبكرة تقف قدرته عند تذوق بعض ما فى هذين الفنين من جمال فلا نذهب أبداً إلى حد الحكم على القيمة الجمالية لهذا التمثال أو ذلك ولهذه الدار أو تلك ، وذلك لما يقتضيه الحكم من إحاطة تامة بشتى العناصر التى يشتمل عليها التمثال أو البيت موضوع الحكم إحاطة تتم فى لحظة واحدة الأمر الذى لا يتم بغير حاسة البصر . وعلى كل فنى وسع الأكمة الذى يزور الأقصر مثلا أن يكون له فكرة عن الهيئة الجسمية والتقاطيع الوجهية لهذا الرمسيس أو ذاك ولهذه الفرعونه أو تلك إلى صورة عن طريق الكباش ومعبد الأقصر بأعمدته وأبهائه ... الخ ولكن الكفيف وإن وقف من هذين الفنين موقفاً متواضعاً فهو يشفى علته فيما ينفرد به فن التحسس واللمس وهو فن يقوم فى تدريب حاسة اللمس على نحو تصل به إلى التمييز الدقيق بين ملمس الأشياء ومن ثم يستمتع صاحبها بما يجده فى ملمس البعض من نعومة أو مخملية أو حريرية... الخ ومن طريف ما يروى عن معاهد الكفيفات الصماوات هذه الغيرة التى تضطرم بينهن لأن زميلة لهن تمتلك بعض القطع النادرة الملمس من القماش أو غيره وقد وجد كاتب هذه السطور وما زال يجد لذة فى تتبع النقوش البارزة أو المحفورة فى قطع الأثاث ما انسابت هذه النقوش فى استقامة أو انحنت فى هدوء ، أما تلك التى تتكسر فى زوايا حادة أو غير حادة فإنها تستوقف الاصبع فجأة بين الفينة والفينة ومن ثم تضيع عليه تتابع لذته .

وخلاصة هذا كله أن الكفيف يستمتع بالجمال الفنى فى شتى ميادينه اللهم إلا ميدان الرسم فهو يملك فى مقابله ميدان اللمس وانه ليفتقر إلى هذا الاستمتاع

بأكثر مما يفتقر زميله المبصر وذلك لأنه كلما كان الاتصال بالطبيعة ناقصاً وعسيراً كانت الحاجة إلى الفن الذى يفسر الطبيعة ويصورها فيدخل بقدرته الإيحائية الخارقة شعور الاستمتاع بالجمال والتنعم به . وبعد فإن كان شوبنهور قد وجد فى الفن عزاء لا بد منه ولا غنى عنه لكل إنسان فما أحرى أن يكون هذا بالنسبة إلى العميان .

الكفيف فى المجال الاجتماعى :

رأينا فيما سبق موقف الكفيف فى المجال العقلى كما رأينا موقفه فى المجالين الفيزيائى والفنى وبقى علينا أن نبحث موقفه فى المجال الاجتماعى .

يذهب بعض المبصرين إلى عجز الكفيف عن الأخذ بأسباب الحياة الاجتماعية وتحقيق التكيف بينه وبين مجتمعه ؛ ولعل هذا البعض يستند فى زعمه إلى أن البصر هو عامل التكامل الاجتماعى مع أن البصر فى حقيقة الأمر لا يتعلق فى كثير أو قليل بهذا التكامل الاجتماعى فإن الكفيف بما له من قدرة على القول والسمع أو قل بما له من قدرة على تبادل الحديث يعقد فى سهولة معبر الصلة بين ذهنه وبين الأذهان الأخرى ومن ثم تتصل الحياة وتتكامل بينه وبين مجتمعه ولا أحسب القارىء فى حاجة إلى أن نعدد له حالات الصداقة بين المبصرين والعميان أو حالات الزواج بين أولئك وهؤلاء فهى كثيرة لا يحصرها عد . مألوفة لا تفتقر إلى بيان .

حقاً يوجد كثير من العميان الذين ينفرون من المجتمع ولا يشاركون فيه ما وسعهم ذلك كما يوجد أيضا بعض العميان الذين يشاركون فيه على نحو شاذ ملتو غير سليم ولكن هذا أمر لا يرجع إلى طبيعة العمى وإنما يرجع إلى طبيعة المجتمع الذى ينشأون فيه . فنحن لو أخذنا المجتمع المصرى لنعاين فيه هذه الحال لوجدنا عائله الكفيف وهى مجتمعة الضيق تتخبط فى معاملته أشد التخبط وأعظمه . فمن الآباء من يخفى عن ابنه حقيقة نقصه تدفعه فى ذلك شفقة جاهلة فلا يعلم الإبن بحاله إلا فى سن متأخرة فينفجر ألمه ويضطرب سلوكه وذلك لأن الألم يزداد عند الأكمه بقدر ما يتأخر وقت إدراكه لنقصه ومن الآباء أيضاً من يفرط فى تدليل ابنه يدفعه فى ذلك حنان غاشم فينشأ الطفل على الراحة وحب الذات ينتظر من المجتمع أن يسهر عليه ويعنى به وإن لم يفعل هو شيئاً . ومن الآباء أيضاً من يبالغ مفرطاً فى مهارة ابنه لعمل يأتيه

فيخلق فى نفسه شعورَ الزهو الكاذب الذى يربطه بعالم الأكاذيب وأحلام اليقظة فيحول بينه وبين العمل الجدى . ومن الآباء أيضاً من يبكى ابنه ويرثى حظه العاثر على مسمع منه فيولد فى نفسه شعوراً بالمذلة والحياء لا يلبث أن يدفعه فى عزلته عن الحياة والأحياء . وقد تنبهت معاهد العميان إلى هذا الأمر فكتبت بعضها على أبوابها هذه العبارة « ليس للزائر أن ينطق بعبارات الشفقة » ... ولعل للآباء فيما يفعلون شىء من العذر وذلك لأن العمى لا يعقد الصلة بينه وبين الأطفال إلا أن يكونوا أبناء فقراء أو جهلاء أو فقراء وجهلاء معاً تعوزهم الوسائل الصحية وهم أجنة فى بطون أمهاتهم أو رضعاء وأطفال فى بيوت آبائهم فليس لنا أن ننتظر من فقراء جهلاء غير التخبط والتعثر . فإذا نحن خرجنا مع الكفيف من مجتمعه الضيق إلى مجتمع الحياة الواسع لوجدنا الأمر لا يقل تعسفاً وظلماً عن سابقه ذلك أن المبصرين ينظرون إلى العميان على أنهم صنف قائم برأسه يصدق على الواحد منهم ما يصدق على الآخر فإن وقع اللقاء الأول مع أعمى ذكى كان العميان أذكياء عباقرة وإن وقع مع أعمى غبى كان العميان أغبياء وبلداء وفى هذا من التعسف ما فيه فإن العميان يتفاوتون فيما بينهم تفاوتاً عظيما إن من الناحية العقلية وإن من الناحية الفيزيائية وإن من الناحية الفنية فمنهم من يغلب عنده الذكاء فيكون من أهل الفكر ومنهم من يتميز عنده الوجدان فيكون من أهل الفن ومنهم من يقوى عنده الحس فيتوجه فى المجال الفيزيائى حسبما تكون حاسته القوية فنحن نسمع عن عميان يقيمون حياتهم على أساس من السمع فلا يرون فى العالم غير أصوات مسموعة بينما يقيم آخرون حياتهم على أساس اللمس فلا يرون فى الحياة غير أمور ملموسة وهناك فريق ثالث يقيم الحياة على أساس حركى فلا يجد فى الكون غير حركات كثيرة متمايزة .

ومهما يكن من أمر فإن الواقع ملىء بالأدلة التى تكشف فى جلاء عما بين العميان من تباين شديد واختلاف عظيم ولكننا نجد هذا المجتمع الواسع عندنا على شىء من العذر فهو لا يقل عن زميله الضيق فى شىء من الجهل فليس لنا أيضاً أن ننتظر منه غير التعسف والتخبط ولكن الذى لنا هو أن ننتظر من أولى الأمر شيئاً من العناية بالتوجيه . فنحن بلد من أغنى بلاد العالم بعميانه ومع ذلك لا نجد غير ثلاثة معاهد حكومية للعميان تضم كلها ما يزيد قليلا على المائتين من الأطفال وليتها مع هذه القلة تعنى بالناحية العقلية كما نسمع ذلك عن المعاهد الألمانية أو بالناحية الفيزيائية كما هو الحال فى المعاهد البريطانية والأمريكية أو بالناحية الفنية

كما هو الشأن فى المعاهد الفرنسية فهى لا تعدو حدود المدارس الإلزامية إلا فيما تلقنه من صناعات أولية بسيطة وقد كان الأمر يهون لو أنها فتحت الباب لجميع الأطفال، فيعم هذا القليل من العلم الكثير من العميان .

وليت الأمر يقف عند هذا الحد فالكفيف محروم من الخدمات الاجتماعية لا ييسر له انتقال ولا يهيأ له سبيل عمل ولا يعان على الحياة بتسلية أو بترفيه فليس بغريب بعد هذا كله أن ينوء عميانا تحت معطف ظلماتهم فيعرضون عن مجتمعهم أو يقبلون عليه فى شذوذ والتواء . وما أسخف مايزعمه البعض من أن ألم الكفيف إنما يرد فحسب إلى ما يعانيه من شوق مرير لعالم النور وهذا زعم واضح البطلان بالنسبة إلى الأكمة وإلى من ينزل به العمى فى سن مبكرة فلا يكون تحت إدراك حقيقى للنور ولا اشتياق إلى ألوانه وهو أيضاً زعم لا يقل بطلاناً بالنسبة إلى الأعمى الذى ينزل به العمى فى سن غير مبكرة وذلك أن الألم لا ينبعث من فقد البصر وما يتصل به من مباهج بصرية ومتع لونية وإنما من شعور صاحبه بالنقص والعجز بالقياس إلى غيره فإن نحن هيأنا له سبيل العمل المنتج الذى يتفق واستعداداته لاختفى على التو من رأسه كل شعور بالدونية والنقص فاختفى فى إثره كل شعور بالألم والحرمان ولكان فى ذلك ما يحقق التكيف الصحيح بين الكفيف وبين المجتمع .

صلاح حسنى محيمر